The Alliance Lift: حوار مع الدكتور جون-آرنه روتنغن

تم إعداد هذه الترجمة بمساعدة ChatGPT وقد تحتوي على أخطاء؛ وهي ليست نسخة رسمية أو مُعتمدة.

The Alliance Lift هو سلسلة تسلط الضوء على مسارات خريجي وزملاء التحالف الذين يسهمون في تشكيل نُظم الصحة في مختلف أنحاء العالم. في هذه المقابلة نتعرف على الدكتور جون-آرنه روتنغن – طبيب نرويجي وباحث في الصحة وقائد في مجال الصحة العالمية، جمع في مسيرته بين العلم والسياسات والتنفيذ.

يشغل جون-آرنه منصب المدير العام لـ مؤسسة ويلكَم تراست (Wellcome Trust)، وقد شغل سابقاً منصب سفير النرويج للصحة العالمية، كما ترأس مجلس البحوث النرويجي. وهو صديق قديم للتحالف – ورئيس مجلس إدارته بين عامي 2011 و2015 – وساهم في توجيه تجارب اللقاحات أثناء تفشي وباء الإيبولا، ولعب دوراً محورياً في تأسيس التحالف من أجل ابتكارات التأهب للأوبئة (CEPI)، وكان من أبرز الداعين إلى دمج البحث والسياسات والممارسة.

سألناه عن الأفكار والتجارب التي شكّلت مقاربته لبحوث السياسات والنُظم الصحية، وما يلزم للحفاظ على المكاسب في ظل تقلص المساعدات وتحولات الجغرافيا السياسية، وكيف يمكن للنظام الصحي العالمي أن يخدم البلدان بشكل أفضل – بدءاً من الاستثمار في قدرات البحث وصولاً إلى إعطاء الأولوية للسلع العامة العالمية والعدالة.

التعلم من الماضي

سؤال: يعرف الكثيرون خبرتكم الواسعة في الأمراض المعدية والبحوث – مثل قيادتكم لتجارب لقاحات الإيبولا عقب تفشي 2014 في غرب أفريقيا. لكن هل يمكن أن تحدثونا عن مسيرتكم في بحوث السياسات والنُظم الصحية؟ ما الذي أثار اهتمامكم بهذا المجال؟

بدأت دراسة الطب باهتمام كبير بعلم الأحياء الجزيئي، وبفهم أسباب الأمراض وكيفية عمل الجسم. لكنني كنت أيضاً منخرطاً سياسياً. ففي أوائل التسعينيات شاركت مع طلاب وأساتذة آخرين في تأسيس مجموعة دراسية باسم *Patient Earth*، جمعت بين الصحة العالمية وصحة الكوكب.

وبقي هذا الاهتمام المزدوج معي. بعد الدكتوراه، اتجهت إلى علم أوبئة الأمراض المعدية والصحة العالمية، حيث رأيت التداخل بين الأحياء وعلم الأوبئة وصنع السياسات.

وعندما عدت إلى النرويج بعد دراستي، أتذكر أنني تحدثت مع أحد وكلاء وزارة الخارجية. سألتُه – بشكل استفزازي – لماذا لا تستفيدون أكثر من القاعدة البحثية والخبرة الأكاديمية في النرويج، رغم كل ملايين الدولارات التي تُنفق على الصحة العالمية؟ هذا السؤال أدى إلى دعوتي للانضمام إلى مجلس إدارة التحالف في أوائل الألفية.

سؤال: أنتم منخرطون مع التحالف منذ نحو عشرين عاماً. في عام 2011 أصبحتم رئيساً لمجلس الإدارة. ما هي أبرز المحطات بالنسبة لكم، وما مساهمات التحالف خلال ولايتكم؟

تخطر ببالي بعض النقاط. في تلك الفترة عززنا العمل في مجال تجميع الأدلة والمراجعات المنهجية – بدمج الأدلة ذات الصلة محلياً وعالمياً كأساس لصنع السياسات.

كما طورنا العمل في التفكير النُظُمي، إذ أدركنا أن صنع السياسات ليس خطياً. وكان فهم تعقيد النُظم الصحية وآلياتها المختلفة – أو ما سميناه "مقابض التحكم" – أمراً محورياً.

وابتكرنا أفكاراً حول دمج التعلم في النُظم الصحية، أطلقنا عليها اسم *النُظم الصحية المتعلمة*. وهي نُظم تمتلك قدرة مدمجة على تقييم الأداء، والتعلم من النجاحات والإخفاقات، والتحسين المستمر. وقد جمع هذا العمل بين علوم التنفيذ والبحوث التشغيلية وبحوث السياسات والنُظم الصحية.

سؤال: أنتم الآن المدير العام لمؤسسة ويلكَم تراست (Wellcome Trust)، والتي يُنظر إليها في الغالب على أنها ممول للبحوث الطبية الحيوية، رغم أنها دعمت أيضاً التحالف. كيف ترون دور بحوث السياسات والنُظم الصحية في عمل المؤسسة؟

صحيح أن معظم تمويل مؤسسة ويلكَم كان في مجال البحوث الطبية الحيوية، وسنواصل دعم هذا المجال. لكن المؤسسة كانت أيضاً من أبرز الممولين للعلوم الإنسانية والاجتماعية ذات الصلة بالصحة.

وإلى جانب البحوث الاستكشافية ذات الصلة بالحياة والصحة والرفاه، نركز الآن على ثلاثة مجالات تحدٍ رئيسية: الأمراض المعدية، والصحة النفسية، والمناخ والصحة. وفي جميع هذه المجالات، لا تكفي التكنولوجيا الجديدة وحدها. يجب أن تُنفَّذ على نطاق واسع، وأن تُقدَّم عبر النُظم، وأن يستفيد منها كثيرون. هذه هي رؤية مؤسسة ويلكَم: تحسين الصحة للجميع.

ولتحقيق ذلك، فإن السياسات المستندة إلى الأدلة وتعزيز النُظم أمران أساسيان. وبحوث السياسات والنُظم الصحية هي النهج التطبيقي الذي يتيح لنا ربط العلم بالمجتمع والتنفيذ.

العيش في الحاضر

سؤال: يبدو اليوم أن الصحة العالمية دخلت عصراً مختلفاً تماماً حتى بالمقارنة مع بضع سنوات مضت. هل تتفقون؟

بالتأكيد. فعلى مدى عقدين عشنا ما يسميه كثيرون "العصر الذهبي للصحة العالمية". كانت الموارد وفيرة، والنجاحات ملموسة، خاصة فيما يتعلق بأهداف الألفية الإنمائية.

كما أظهرت الجائحة ما هو ممكن. لقد طورنا لقاحات جديدة في وقت قياسي. لكن الحصول عليها كان غير متكافئ، ما يثبت أن العلم نجح لكن النظام الصحي العالمي لم ينجح.

نواجه الآن ضغوطاً اقتصادية وصراعات وتراجعاً في ميزانيات المساعدات. والتحدي أن المساعدات حققت نتائج، لكنها لم تبنِ دائماً قدرات صحية مستدامة في البلدان. علينا الآن التركيز على *السيادة الصحية* – عبر تعزيز الرعاية الصحية الأولية والنُظم المحلية والاعتماد على الذات.

سؤال: تدفقات المساعدات تتراجع بشكل حاد. وتشير تحليلات إلى أن تمويل الصحة العالمية قد يعود إلى مستويات 2009، والموارد المتاحة داخل البلدان إلى مستويات 2018، مع ما يترتب على ذلك من آثار على البرامج والخدمات. ماذا يعني ذلك للصحة العالمية؟

لا نعرف بعد كل الآثار، لكن العواقب ملموسة بالفعل في جميع أنحاء العالم. برامج علاج فيروس نقص المناعة البشرية تتعرض للتوقف، وجهود مكافحة الملاريا تفقد الدعم، والعاملون الصحيون لم يعودوا يتقاضون أجورهم ويبحثون عن وظائف أخرى. وتشير النماذج إلى أن تخفيضات **الوكالة الأمريكية للتنمية الدولية (USAID)** وحدها قد تؤدي إلى 14 مليون وفاة إضافية بحلول عام 2030.

وفي الوقت نفسه، هناك إرادة سياسية في بعض البلدان لتحمّل مسؤوليات أكبر في تقديم الخدمات الصحية. وزراء الصحة والمالية في نيجيريا، على سبيل المثال، يريدون تولي برنامج فيروس نقص المناعة البشرية بتكلفة تعادل 40% من تكلفته الحالية. هذه الطموحات جديرة بالثناء. لكن الانتقال يجب أن يكون تدريجياً – فلا يمكن إنجازه في ستة أشهر، بل يحتاج إلى خمس سنوات على الأقل.

سؤال: هناك مجال لم يُعطَ الاهتمام الكافي، وهو أثر ذلك على أنظمة البحث نفسها، خاصة في البلدان منخفضة ومتوسطة الدخل. ما تعليقكم؟

كل بلد يحتاج إلى قدرات بحثية لتحسين نُظمه الصحية ونتائجه. لعقود طويلة، كان معظم هذا التمويل يأتي من المساعدات الخارجية. الآن، في إطار أجندة الاعتماد على الذات، يجب على الحكومات أن تستثمر في مؤسسات التعليم العالي والمراكز الوطنية للبحوث والقدرات النظامية.

وهذا لا يقتصر على بحوث السياسات والنُظم. فالبلدان تحتاج أيضاً إلى بحوث الطب الحيوي لدعم الإنتاج المحلي للأدوية وتصنيع التقنيات الصحية. وبعد الجائحة، تتطلع حكومات كثيرة إلى بناء هذه القدرات.

الاستعداد للمستقبل

سؤال: تعاون التحالف معكم ومع مؤلفين مشاركين آخرين في كتابة تعليق في مجلة *Nature Medicine* حول وظائف النظام الصحي العالمي في هذه الحقبة الجديدة. ما هي الرسائل الرئيسية؟

تطرح الورقة أسئلة كبرى – وهي في جوهرها أسئلة بحوث السياسات والنُظم الصحية. سألنا: ما هي الوظائف الأساسية التي يجب أن يؤديها النظام الصحي العالمي مستقبلاً؟

أولاً، مع قلة الموارد، يجب تركيز المساعدات على البلدان ذات الاحتياجات الأكبر. ثانياً، ستظل هناك حاجة إلى الدعم الخارجي في البيئات الهشة والإنسانية.

ثالثاً، يجب أن نعطي الأولوية للسلع العامة العالمية – البحث والتطوير، والتقنيات الجديدة، ووضع المعايير والإرشادات، والمراجعات المنهجية، وأنظمة الترصد العالمية.

وأخيراً، علينا أن نستعد لمواجهة التهديدات الصحية العابرة للحدود. فالأوبئة والجائحات تتطلب عملاً جماعياً على الصعيد العالمي. والنظام ليس أقوى من أضعف حلقاته.

سؤال: الإصلاح ضرورة عاجلة لكنه صعب التحقيق. ما الذي تفعله مؤسسة ويلكَم تراست للمساهمة في هذا النقاش؟

نؤمن بأن وجود نظام صحي عالمي فعّال أمر أساسي لكي يكون للعلم أثر، ولكي يستفيد الجميع من إنجازاته. ولهذا كلّفنا بإجراء خمسة تحليلات إقليمية، ونحن نيسّر حوارات تقودها جهات في تلك المناطق، لصياغة مقترحات للإصلاح.

ونحن نستند إلى *أجندة لوساكا (Lusaka Agenda)* التي دعت إلى "دولة واحدة، خطة واحدة، ميزانية واحدة". لقد أظهرت الجائحة قوة التنسيق. والآن يجب أن نغتنم الفرصة لترسيخ الإصلاح، وتضخيم أصوات البلدان، وضمان حوكمة أقوى.

سؤال: ماذا عن البحث نفسه؟ هل ستواصل مؤسسة ويلكَم دعم البحوث في جميع فئات الدخل؟ وكيف ترون التوازن بين المسؤولية العالمية والوطنية؟

البحث جهد عالمي. نحن نمول في بلدان مرتفعة ومتوسطة الدخل، وبعض البلدان منخفضة الدخل. في مالاوي، مثلاً، ندعم مركزاً بحثياً كبيراً في بلانتير يُعد من الطراز العالمي ويعمل عن كثب مع الحكومة.

هدفنا أن لا يقتصر تمويل البحث على إنتاج المعرفة، بل أن يعزز أيضاً القدرات المحلية بشكل مستدام. وهذا يعني العمل مع الحكومات والمؤسسات المحلية لضمان أن استثمارات اليوم تبني أنظمة بحوث صحية للغد.

سؤال: هل أنتم متفائلون بالمستقبل؟ هل يمكن للنظام الصحي العالمي أن يتكيف؟

أنا متفائل، من النوع الذي يرى الكوب نصف ممتلئ. هذه أوقات صعبة، لكن الفرص أكبر من أي وقت مضى. إذا استطعنا توجيه الموارد والمهارات والتركيز إلى حيث تشتد الحاجة، يمكننا أن نحقق تقدماً هائلاً.

هناك 4.5 مليارات إنسان لا يحصلون على الرعاية الصحية الأولية الأساسية. هذا أمر غير مقبول. وهذا يوضح أين يجب أن نركز جهودنا إذا أردنا تحسين الصحة عالمياً.

سؤال: وأخيراً، ما الرسالة التي تودون توجيهها إلى العاملين اليوم في مجال بحوث السياسات والنُظم الصحية؟

التزموا. ابقوا متفائلين. وركزوا على العمل مع زملائكم وشركائكم المحليين، وشاركوا رؤاكم وبحوثكم، من أجل تحسين الصحة عبر حلول وسياسات قائمة على الأدلة.